مناطق أخرى وقصص

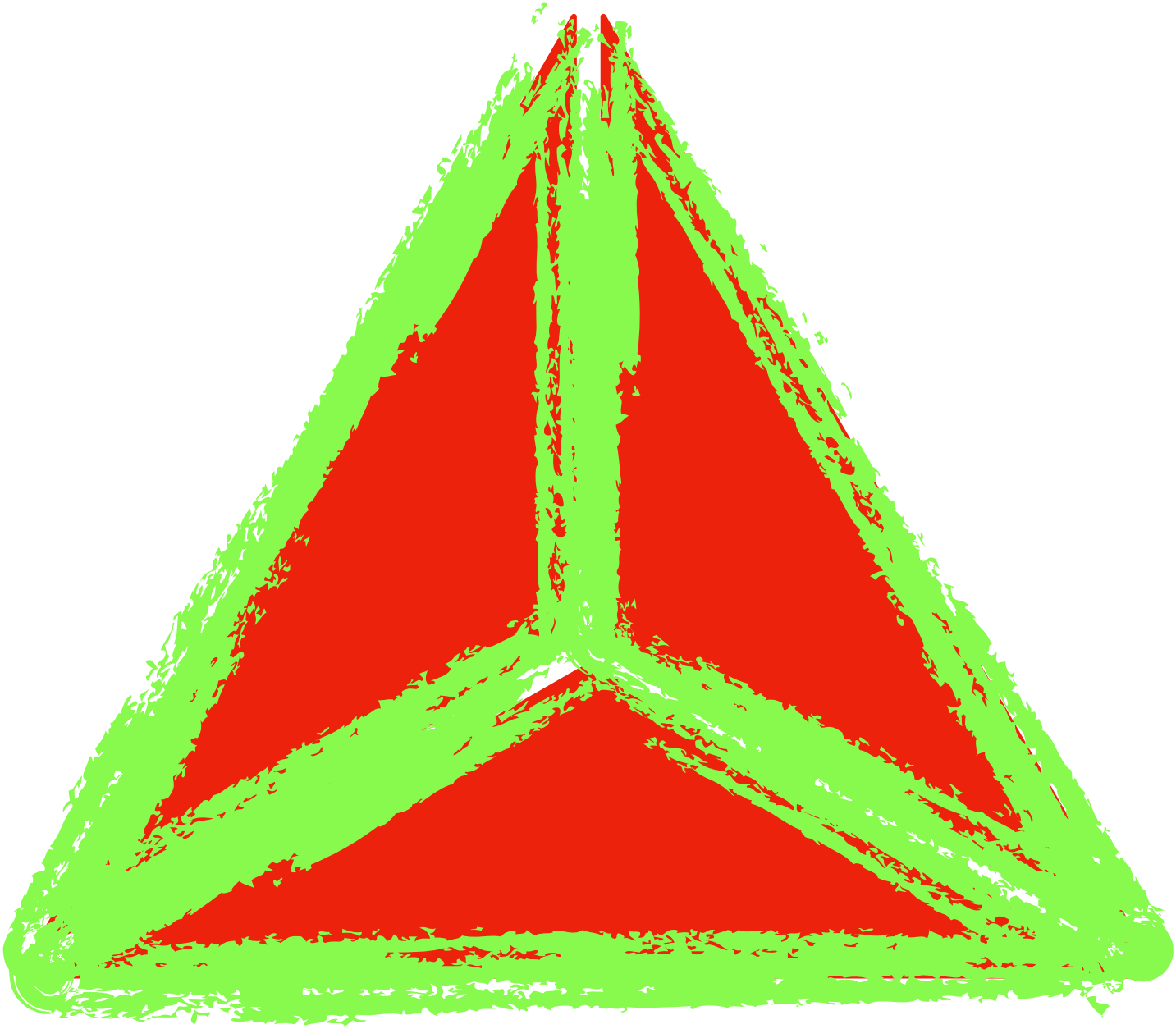

أحمد علي حيدر

دال يدا والطبلة

ألوان
للنشر والانتاج

هذه القصة من الخيال ولا تمت للواقع
الا من قبيل تشابه احداث وشخصيات

This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

الفصل الاول

كان اليوم في أوله

وهدوء نسبي سيطر على حركة المرور

بيت داليدا يقع في وسط المدينة وكل ضجيجها تسمعه من فوق ، تسمع صوت صراخ قادم من على الشرفة المقابلة

اترى ما ذاك الصوت ؟!!

ترفع عينيها وتنظر تجد احد جيرانها يحاول الانتحار ! ماذا تفعل ؟

هل تصرخ عليه ام تبقى تنظره وهو يتألم ؟

لقد كان جارهم" سعيد في حياته و من ارقى الناس في المنطقة وكان فاعلاً للخير يصلي ويصوم ويتصدق، ولكن سرعان ما اكتشف شيئاً ، جعله يتغير ، يصرخ عادة من على شرفته ويقوم ويقعد على كرسيه ...

ولكن الانتحار كان عملاً اول كرة يقوم به ، وهل يحيا الانسان بعد ان ينتحر ؟؟!

من أجل المال وقفت داليدا بوجه والديها وقررت مغادرة البلاد ، بلادها الريفية التي تعرف بنخوة وجالها وكرم نسائها ، ولطف اطفالها ..

لقد شاهدت اعلاناً على التلفاز ويا ليته لم يكن ، عن استقبال راقصات الى ملهى ليلي ؟

تحمسن للفكرة وقبلت ان تبيع جسدها للرقص ، وبالفعل تم ما كان بالحسبان

وذهبت الى المدينة تبحث عن عمل !'

هل كان مسروراً اباها في منعها عن العمل وهل كان يظن ان احسن الاختيار بمنعها ، لذلك شردت وهي الغزالة في جمالها وجميل صنع الله فيها ، تبحث دائما عن شيء تسلي به اهلها . امها وابيها ، كانت تعمل في الارض وتساعدهم ولم تتمكن من التعلم لأسباب لا يعرفها احد فقط لمجرد ان خرجت يوما من صفها لم تعد ، ولم تعد تطيق الاساءات لها من ابناء قريتها ، ولم تعرف السبب ،

هذه طفولتها ومراهقتها قبل ان تسمى خائنة خرجت. بيتها ولم تعد ,في ليل ممطر تركت اهلها ومشت في ظلماته على وقع الرعد والبرق واتجت نحو المدينة ، لم تكن نحمل الا بضع قروش لا يمكن ان يوصلوها حتى الى هناك ...

حينما قرر جارهم السعيد ان يأخذ اخر ما وصف له الطبيب ، حبوب الاعصاب التي تزيل عنه همه ، وتعيد اليه رشده من نوبات التعصيب ومطبات الالم في صدره بعد فقدان ابنه شهيداً فداءا للوطن ، لم يعد يحتمل اكثر من هذا التعس والبلاء الذي حل عليه وعلى زوجته ... هناك من يأخذ نفس دوائه في الجهة المقابلة من الطريق ، مجموعة شباب لا هم لهم ولا مشاكل ولكن دفعهم حب السعادة الى اخذ حبوب اعصاب كان قد وصفها الدكتور الى الجار ، ولكن من الغباء ان لا يعرف الدكتور الى اين تذهب الحبوب، لم يعد المريض يأخذ دوائه كما قبل ، ونفسيا لم يعد يتحمل ان يكون دوائه مواد مخدرة يتعاطاها الشباب في الازقة والاروقة للجامعة وبعض الاماكن الاخرى .

و"يحي" الولد الذي يعمل عندها سمع صراخها على الرجل المنتحر يتأهب من المطبخ ليرى ما جرى واذ به خائفة مذعورة ، تترقب احدهم يساعده وهو يسب الحياة ويتمنى الموت ، ويحي هذا غلام لم يبلغ الخامسة عشر ، يعمل لدى داليدا كخادم ، يحضر لها بعض الاشياء وينظف البيت ويرمي النفايات. يوصلها الى سيارتها ويأتي بأغراضها من السوق ، ويساعدها بأمور شتى ، كان صبياً عندما قررت والدته ان يعمل لدى داليدا ، يساعد اهله في الريف يعتاش على بقايا الطعام ويصمّد ويدخر باقي المال لأهله .

وبالعودة الى داليدا وكيف كلأم حياتها قبيل مجيئها الى المدينة ، كانت تهتم بالطيور وترعى الاغنام في المرعى وتحلب ما يكون في موسم الحليب ، الزراعة كانت مواسم قداءاً بالقمح

والعدس والحمص وباقي البقوليات من الحقل ، والخضار ايضاً كان له حصة من يديها الفتية ، تستيقظ صباحاً على صياح الديك وتنام على انغام صرصار الليل ، ولكن احبت ان تغير حياتها ، لا اعرف ماذا رأت ، ولكنها يوماً ما قررت التحدث الى المجهول وانتظرت اشارة مرئية منه ، بدأت تراقب الارض والجدران علها تحمل فيها ما يصح انه رسالة من الله ، لتبرر ورحيلها وتوقها الى الحياة والنجومية ..

طبيعة البشر

وهكذا رحلت

ركبت باص الترحال مع حقيبتها دون ان تودع احد ودون ان تعرف احد من الذين التقتهم في مشوارها ، بحثت عن المكان الذي تستريح فيه بعد مشوارها الطويل ، وجدت احدى بيوت الله في مدينة لا تعرف شارع منها ولا محطة ، شابة في مقتبل العمر تركض لاهثة نحو حياة الحرية والترقي لتجد ما لا يسرها هناك ، دخلت بيت الله وكلها امل علها تجد احدهم يساعدها فلم تجد من يواسيها سألت عن امام الجامع فوجدته غائباً ذاك اليوم والمصلين في شك وريبة من امرها ، تركت بيت الله ورحلت الى مكان اخر وقد اوشك الليل

على القدوم بانوار المدينة وشوارعها المكتظة والكثيفة ، واحت تتذكر الاعلان التلفزيوني حول موضوع حاجتهم الى جميلات جديدات وفتيات هوى ، وتذكرت العنوان وركضت مسرعة ...

سألها...:

هل تعرفين الست عناية ؟ سألها البواب وهي تلهث حوالي الساعة الثامنة مساءاً

نفت مبدئياً ولكنها سرعان ما بدأت تنطق ، واجابت : لا اعرفها ولكنها من النوع المألوف لدي هي التي تشغّل الراقصات في الملهى وزوجها صاحب الملهى المحامي القدير ، واين التقدير ..

لقد فرّت بالاجابة عن سؤاله بجمالها وخفت دمها فأدخلها الى داخل الصالة وبدء بالحديث معها حول اوضاعها المادية وسنين عملها واين كانت تعمل وهل هي متزوجة

لقد طرحت حياتها على الطاولة ولكن البواب استلطفها فجعلها تقابل است عناية تلك ،

دخلت الرواق الى غرفة الست كما يسميها رواد الملهى ، فاستقبلتها الست عناية واهتمت بها ، وسألتها عن مواهبها وحبها للعمل كراقصة في الملهى واتفقت ان تعطيها معيشتها واجرها اسبوعياً بعد ان تقوم بالحسبة....

كانت الست عناية ..

من المؤسسين للملهى الليلي وما يصير من شيء هناك الا وتعلمه ، من طباع الزبائن ومدى قدرتهم على دفع المال ومتى ؟؟! لأن بعض الزبائن كانوا يستدينون المال منها للجلوس ومشاهدة الرقص وللتمتع بكأس على طاولة مستديرة ، لم تكن سهلة على احد ولم تكن ايضاً من اللطفاء او المحسنين بل اثبتت وجودها بكل ما للكلمة من معنى ، احياناً

تأتي الشرطة لتفقد المكان تكتفي بالجلوس والمشاهدة ، وبعد جهد جهيد تدفع الرشوة بكل صدر واسع وابتسامة وتعاود عملها . اما داليدا فتكون الوسيط بعد ان قبلتها في عملها الجديد في الملهى تبدأ بتلفيق الاكاذيب والأحاديث مع الشرطة واحيانا تقوم بإغرائهم بالكلام الطيب وبعض المجاملات ، انها حياة الليل التي لا يعرفها سوى من عاشها ومن خرج من منزله يوما بحثا عن الحب والجنس في الملاهي الليلية وبين احضان بنات الهوى

الفقير يبيع ما لديه ليلعب القمار واحياناً يضع نفسه في دائرة الفقر المتقع ليشتري شيئاً يأكله هناك ومن يسأل عن الفقراء وفقراء العقول في تلك الاماكن

وكما الحياة الهرمية في المستوى الاجتماعي تجد ملاهي للفقراء وملاهي للاغنياء واحياناً تختلط سمعة هذا في ذاك فينشأ **مناطق اخرى وقصص** وهكذا ....

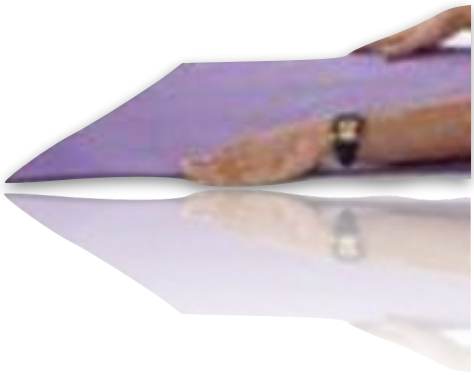

فتحت عيناها ...

على حياة جديدة وعلى اجواء أحلى بنظرها ، لم تعد تلك القروية التي ينتظرها احدهم ليختطفها على سبيل قصة حب ونشرب النخب ، ولا لتجاري بنات عماتها وخالاتها بعدد الاولاد ، اصبحت حرة بالرغم مما يقال عن الانثى بأنها تجمع العائلة ع ولا ملاذ لها الا مع شخص يحبها وينجب منها الاولاد ، هذا على سبيل ادخال دور للمرأة في الحياة وهناك حياة لإناث لا صيت ولا سيرة لها ضمن عشيرة تقلع عين الغريبة داخلهم ولا تديرها اهتماماً ولا وزن في ضفة الاثقال ولا تحاب عند مقابلة الابطال ، انها سيرة واحدة في كل مكان ، ما عمل الانثى وما دخلها وكيف تعلمت التدخل والكلام والعزف على الاوتار الحان ، ونون نسوة وتنوين وخصام ومن ثم بعد الهجر لقاء ، كانت ترقص مع طبلتها كساحرة تبهر الجميع والابصار ، بعيناها كم لمع نجم المشرق وكم حن عود ومقال ، وكم ساد الصمت بين الحضور الا من همس وقال ... والله ...

كانت الوحيدة التي تدخل القلب دون ان تطفئ شمعته ، رصينة رزينة تعرف اي متى تتكلم ولا يعرف عنها انها تسكت عن حقها ، تدور مع الطبلة ومع ايقاعها الساحر ، في الحياة كانها حلم جميل لا ينغصه شيء ، وكم من سلعة كان لتسويقها الحروب والويلات والالام فقط ليبرهنوا شفائها للعليل الذي لم يشفيه شيء ولكي يؤسسون مملكتهم على الضلال

الفصل الثاني

ما أخبار القرية وكيف حالها تتسأل في قرارة نفسها ، اظل الوضع على ما هو عليه ؟!

ويأتيها الرد ، ان لا جديد تحت السندیانة !!

عندما يتحدث ال *» « box

وال *box ان تكلم

والbox في الشائع هو وسيلة نقل المساجين والموقوفين من مكان اعتقالهم الى مخفر الشرطة

وداليدا كانت تخاف هذه الكلمة كثيراً ولكن تعرف لغاته جميعاً وتحب ان تسمع قصصه من موقوف او من رجل امن ، من يعرف ربما تتغير القصة ، فنسمعها من داليدا .. التي عاشرت ولا وغامرت بأن تكون داخله يوماً بل كانت في الكثير من المغامرات تتجنب المشهد الأخير الذي في الفن الشعبي ساعة وصول الشرطة والقاء القبض على المجرمين ، بل كانت تفضل وجودهم منذ البداية وتختلف القصة ..

لا أقصد الاهانة ولكن عمل داليدا في الملهى مثير للشبهة ، وكثيرا ما يدخل الملهى بعض المطلوبين او مثيري المتاعب واحياناً تكون الشقاوة من الملهى نفسه فتتحرك للشرطة بعض اصوات التي تنزعج من وجود الملهى او ما يفعل داخله من اعمال غير قانونية والbox له قصص من الداخل والخارج ،

واحيانا كثيرة لا نجده في مناطق اخرى فتنشىء القصص ويتولد الضغط الاجتماعي وينشط الشيطان داخل الانسان هناك ..،

حصل اشياء كثيرة، قصص مريرة في البوكس البعض تاب قبل ان يدخل واخر بريء يحاول البكاء دون ان يفلح ، تهمهم متعددة منهم الرجال والشباب والشابات ، كم مر على هذا البوكس من قصص ، وان سألته يجيب او يدعو داليدا تخبركم لقد كان موسم حافل في تلك السنة بصيفها الحار بالخصوص ، بعض من المهاجرين القادمين تم القبض عليهم بتهمة التسلل الى البلاد خلسة والبعض الاخر من هم داخل هذه التهمة بتهمة ارتكاب الدعارة وهي تهمة كثرت في السنين الماضية منذ ان جلءت الحرب الى بلادهم فروا تاركين ورائهم عراضي ومزارع مصانع واشغال ، كانت الحرب من امانيهم ولكن ثمنها كان اكبر من يدفعه عامل مستور ، ساغ له القدر ان يدخل اللعبة من اجل حبوب الهلوسة والتي تجعلك غنيا دون ان تدوي وسعيدا من داخلك ، وهذا هو البوكس

الزبون اللئيم

دخل متجهماً حاملاً جريدة في يده ، جلس في وسط الملهى ، وهذه القصة حصلت بعد ان تقبلت الست عناية بتشغيل داليدا كراقصة بديلة في الملهى ، لأنه في البداية تمنعت من تشغيلها وعملت اكثر من اسبوع كنادلة ، و و نفسه حاول التقرب منها ذات يوم ولكن كان يبدو عليه ملامح شرطي فنفرت منه ، ولكن هذه المرة دورها في ان تثير اعجابه كراقصة وبالفعل ما ان بدأت داليدا في الرقص على ايقا ع طبلتها

حتى سُمع صوت تحطيم ورصاص وكان هذا الرجل هو من يحمل السلاح ، وهجم عليه النادل انذاك بعد ان كسر هذا الزبون الكؤوس التي قدمت له ، ولك ان تخمن من هو هذا الزبون انه احد ابناء السياسين البارزين ، يأتي ليمضي ليلته في الملهى وحدث ان غضب مرات عده على النادل هناك ، وكل راقصة في الملهى لا بد ان يجالسها ويعزمها الى بيته ليقضي معها ليلته ، خافت داليدا من هذا الزبون الغاضب ، وكان النادل من اصدقائها ولربما كان هناك اعجاب فيما بينهم ...

حكاية النادل محمود

محمود شاب نشيط في مقتبل العمر اثرى على نفسه بأن يعمل نادلا في الملهى لكي يوفر قوتا لأهله ويدفع مصاريف تعليمه ، محمود من عمر داليدا بل اكبر بقليل ، لا يعرف التعب ، يعمل احيانا بدوامين منفصلين ، كل ليلة يأتي الى الملهى بعد ان يعود من معهده الذي بدوام بعد الظهيرة وهكذا ، احب مجمود داليدا وكان في كل مرة يسالها سؤالا فتجيب دون خجل منه وعرف قصتها ، التي ناضلت من اجلها وكان متفهما لعملها هذا من دون اي تحيز لذكوريته او لرأي عائلته بها كان يجالسها بعد قضاء وصلتها بعض دقائق قبل ان يأتي احد الزبائن ليعزمها على طاولته

كان يحس بشيء اخر مزيج بين الغضب والحيرة والغيرة وكان يكتم مشاعره خوفا من ان يخسر مورد رزقه وكثيرا من الاحيان كان يبكي دون ان يعي و يعرف سبب غضبه .وبكائه .

وحصل. ما لم يكن بالحسبان اذ تضارب محمود مع ذاك الز بون اللئيم. وكانت داليدا في عز وصلتها الراقصة حيث جرت مسرعة الى غرفتها لتبكي وعادت لتكون مصلحة للمشكل ولكن جاء من بعيد افراد الشرطة وبدءوا يفرغون الملهى من زبائنه ومن ي

عرف الملاهي تلك ستجنب المشاكل مع هؤلاء الزبائن وسيكون لطيفا معهم ..واخذوا محمود معهم الى قسم الشرطة وحققوا معه ومع ذاك الزبون وقد شهدت الست عناية ايضاً ووفق شهادتها تبين ان محمود هو الذي افتعل المشكل لأنه مل تلك الوجوه والتصرفات من زبائن الملهى وقرر ان يخوض في هذا المشكل لكي يصرفه عن داليدا ولا يعد يجرأ ان يدخل الملهى .

ما بعد الحادثة

لم تكن حادثة الملهى هي المحفز الرئيسي لداليدا بأن تعيد النظر الى عملها الذي اصبح على المحك بسبب محمود ولكن بعض الرسائل من الاهل ايضاً قد رسمت ملامح عودتها الى قريتها ولكن كيف ؟!ولماذا ؟

الن تقدر على الرقص مجددا ام انها نسيت كيف ترقص ، ما زالت شابة لتتزوج وتنجب ولكن محمود ليس الشخص المناسب وايضا ليس الزبون السياسي المتعجرف ، ومن هو صاحب الحظ جارها سعيد في المبنى المقابل الذي لا يعرف عنها شيئاً ام من ؟!

بعد الحادثة تراجعت داليدا الى الخلف قليلا بعد ان كانت قد كونت نفسها وامنت عملاً ولكن حنينها الى اهلها جعلها تتذكر ايام طفولتها لتدرك ما ضيعته من ايام القرية وما حدث لها كان دوساً لكي لا تخرج من بيتها ثانية ولا تصبح متشردة يتناقلها الزبائن وترقصها الطبلة وتتحكم بها الاهواء

عادت داليدا الى قريتها محملة بالهدايا وعانقت والديها الذين سعدا بمقابلتها وتمنت ان لا ترجع الى المدينة ثانية .

تمت